قطوف وخواطر

الصفحة الرابعة عشرة: أرقام الخواطر من 131- 140.

بسم الله الرحمن الرحيم

131- دَعِي السِّياسَةَ لأربابها ..!

أتتني ابنتي واجمةً .. كئيبةً .. حزينةً .. مشوشة الذهن والأفكار .. والدي: ليس من حقنا أن ننكر على طواغيت الكفر والظلم كفرهم وظلمهم وطغيانهم .. واستعبادهم للعباد .. هذه فتنة .. وتهور .. ثم للسياسة أربابها .. هم فقط الذين يتدخلون بشؤون السياسة .. ويُنكرون على الحكام منكرهم .. فدعي السياسة لأربابها .. هذا ما قالته لي اليوم معلمتي!!

وأنا هنا أحاور ـ على لسان ابنتي التلميذة ـ هذه المعلمة ومَن وراءها من المعلمات والمربيات ممن هن على شاكلتها .. وما أكثرهن في هذا الزمان .. عسى الله تعالى أن يأخذ بأيديهنّ إلى ما فيه الحق والصواب.

ـ قالت التلميذة لمعلمتها: قد عُبدت الطواغيت من دون الله .. وساد الكفر والشرك .. وعمَّ الظلم والفساد .. وشاعت الفواحش والرذائل .. والأمراض .. وخَرُبت الديار .. وانتهكت الحرمات .. والإسلام يُحارب في كثير من الأمصار .. هذا واقع نعايشه .. لا يمكن إنكاره .. ولا يخفى إلا على من أعمى الله بصره وبصيرته!

ـ المعلمة: أوضحي بُنيتي .. ماذا ترمين من وراء كلامك الخطير هذا؟!

ـ التلميذة: أعني ـ قبل أن تغرق السفينة ومَن عليها ـ لا بد من أن نقوم بدورنا وواجبنا الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وفي محاسبة الظالمين على ظلمهم .. وأطرهم إلى الحق .. كما أمر الله ورسوله .. وكل منا بحسب طاقته، ومكانه، ومكانته!

ـ المعلمة: وما دخل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. بالطواغيت وعبادتهم .. وخراب الديار وضياعها .. وانتهاك الحرمات .. وأطر الظالمين .. وغير ذلك مما ذكرتِ؟!

ـ التلميذة: معذرة معلمتي .. كيف تفهمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ـ المعلمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. هو أن نأمر بالصوم والصلاة، والحشمة والحجاب، وغير ذلك من فضائل الأعمال، ومحاسن الأخلاق .. وأن نهتم بتربية أنفسنا دينياً وثقافياً .. أما التدخل بشؤون الحكم والسياسة .. وواقع الأمة .. فهذا ليس من شأننا ولا اختصاصنا!

ـ التلميذة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ كما هو في الإسلام ـ أعم من ذلك وأشمل؛ الأمر بالمعروف: هو الأمر بجميع ما أمر به الله ورسوله من العبادات والطاعات الظاهرة والباطنة .. وأعظم ما يدخل في الأمر بالمعروف الأمر بالكفر بالطواغيت الظالمين والبراء منهم، والأمر بالتوحيد بكل أقسامه وتفريعاته، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾النحل:36. وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾البقرة:256.

أما النهي عن المنكر: فهو يمتد ليشمل جميع ما نهى الله ورسوله عنه من المنكر العقدي، والمنكر السياسي، والمنكر الاقتصادي، والمنكر الاجتماعي والأخلاقي .. وأوكد ما يدخل في المنكر المنهي عنه الشرك بكل ضروبه وأنواعه، وبخاصة منه عبادة الطواغيت .. واتخاذهم أرباباً ومشرعين من دون الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾آل عمران:110. فجاء اسما " المعروف والمنكر " معرفان " بأل " التي تفيد الاستغراق والعموم والشمول؛ أي كل معروف أمر الله به ورسوله، يحب أن تأمروا به، وكل منكر نهى الله ورسوله عنه، يجب أن تنهوا عنه.

ـ المعلمة: ولكن نحن معشر النساء لا نقوى على ذلك .. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمفهوم الذي ذكرته من خصوصيات الرجال دوننا .. فدعي السياسة لأربابها .. والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها!

ـ التلميذة: بل نقوى بإذن الله .. فالله تعالى لم يستثن النساء من واجب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وكأنك ـ يا معلمتي ـ لم تقرئي قوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾التوبة:71. فدخول لام التعريف على المؤمنين والمؤمنات تفيد الاستغراق والعموم؛ أي كل المؤمنين وكل المؤمنات ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾.

نحن الأم والأخت والبنت .. ونحن من حيث الكم لسنا ـ كما يقولون ـ نصف المجتمع .. بل نحن ـ في كثير من الأمصار ـ ثلثي المجتمع .. والثلث الآخر نربيه بين أيدينا وعلى راحتينا كيفما نشاء .. إن فسدنا فسد المجتمع كله .. وإن صلحنا صلح المجتمع كله .. بإذن الله.

رحم الله النساء الأوائل .. أخرج الطبراني ـ بسند جيد ـ عن يحيى بن أبي سُليم قال:" رأيت سمراء بنت نَهيك ـ وكانت قد أدركت النبي ﷺ ـ عليها درعٌ غليظ، وخمارٌ غليظ، بيدها سوط؛ تؤدب الناس وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ". فأين نحن منهن ..؟!!

طواغيت الحكم والكفر .. يستخدموننا وأجسادنا .. لمآربهم وأهوائهم وسياساتهم الشيطانية الباطلة .. لتثبيت ملكهم وأنظمتهم الفاسدة الكافرة .. ولتدمير أخلاق شباب الأمة وإلهائهم عن واجباتهم نحو دينهم وأمتهم .. وعن واقعهم وواقع تلك الأنظمة وخيانتها وفسادها .. وقد صدق من قال: ما من طاغوت .. ولا فساد وطغيان إلا ومعه امرأة .. وأيما فساد لا يمكن أن يُسوَّق ويروج إلا إذا كان معه امرأة!

ثم إحداثا ما إن ترتدي الحجاب فقط .. ومن دون أن تفعل شيئاً آخر .. إلا وتقوم لهؤلاء الطواغيت وكلابهم المسعورة قيامتهم ولا تقعد .. ويتصايحون بكل صراحة ووضوح: بحجابك هذا قد أفسدت علينا مخططاتنا الهدامة .. كيف لنا أن نفتن الناس بك .. ونشغلهم عنا وعن مؤامراتنا وخيانتنا .. وأن نصدهم عن دينهم وعن

واجباتهم نحو أمتهم وواقعهم .. وأنت ترتدين هذا الحجاب .. لذا لا بد أن تخلعيه!

هكذا ـ يا معلمتي ـ يتعامل هؤلاء الطواغيت معنا نحن معشر النساء .. إماء وسلع رخيصة بين أيديهم .. يتصرفون بنا وفق أهوائهم وشرائعهم كيفما شاءوا .. فكيف بعد كل ذلك تلزميننني وغيري من الفتيات والنساء ـ بزعم أن السياسة ليس من اختصاصنا .. وللسياسة أربابها ـ بأن لا نقول لهؤلاء الطواغيت بكل قوتنا وملء أصواتنا: لا .. وألف لا .. نحن أكبر وأعز من أن نكون تلك السلعة الرخيصة أو المطية التي تحققون من خلالها مآربكم وأغراضكم الساقطة التافهة!

كيف تطالبيننني وغيري من النساء أن لا نقول لهؤلاء الطواغيت ولعساكرهم وجندهم .. كما أمر الله: إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ الممتحنة:4. أم أن هذا البراء من الطواغيت الظالمين .. والكفر بهم .. يُدرج في خانة العمل السياسي .. وبالتالي فهو مقصور ومحصور على الرجال من دون النساء ..؟!!

إني لأخشى أن يأتي من يقول: أن الرسول قد بعث للرجال من دون النساء .. وأن الجنة والنار للرجال من دون النساء .. وأن التكاليف الشرعية مقصورة على الرجال من دون النساء ..!!

مقولة " دعي السياسة لأربابها " إضافة إلى أنها تخالف النقل والعقل .. فهي تعني الحكم على الأمة بالجهل والقصور .. والإعدام والشلل .. وتعني كذلك عزل الأمة عن واقعها .. وما يُحاك ضدها من تآمر وكيد .. وأن تُحرم من أن تقول كلمتها فيما يجري عليها وعلى ترابها من أحداث جسام .. لينوب عنها أفراد قلة لا يتجاوزون أصابع اليد .. في العمل السياسي .. وفي مراقبة ومساءلة ومحاسبة الحكام على أعمالهم ومخالفاتهم .. وجرائمهم .. هذا إذا تجرءوا على الرقابة والمساءلة والمحاسبة ..!

الذي يقول:" دع السياسة لأربابها " كمن يقول: دع الصلاة والصوم والحج لأربابها وأهلها .. لأن السياسة الشرعية عبادة .. والصوم والصلاة عبادة.

النبي ﷺ يقول:" المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألمُ المؤمن لما يصيبُ أهل الإيمان، كما يألم الرأسُ لما يصيبُ الجسدَ ".

وقال ﷺ:"ترى المؤمنين في تراحُمهم وتوادِّهم، وتعاطُفِهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحُمَّى ".

وقال ﷺ:" المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسَهُ اشتكى كلُّه، وإن اشتكى عينَّه اشتكى كلُّه ".

هذه المعاني النبيلة التكافلية العظيمة كيف أحييها في نفسي من دون أن أتدخل في السياسة .. وكيف لي أن أعرف وأهتم بما يحصل لإخواننا المسلمين من ظلم وضيم واضطهاد على أيدي طواغيت الحكم الظالمين وأنظمتهم وعسكرهم .. وفي أمصارهم المختلفة والمتعددة .. ومن دون أن أتدخل في السياسة؟!

منا ـ نحن معشر النساء المسلمات ـ اللاتي يُعتدى على عفتهن وشرفهن .. ومنا اللاتي يُستشهدن تحت الركام والحطام .. ومنا الأرامل .. والأيتام .. ومنا المهجَّرة والمتسولة .. ومنا المحرومة من أن تلقي ولو نظرة واحدة على ولدها أو زوجها أو أخيها المغيب في سجون الطواغيت الظالمين لأكثر من عشرة سنين .. وكل ذلك بفعل ظلم الطواغيت المجرمين وخذلانهم .. وبعد كل ذلك ـ يا معلمتي ـ تحرمين علي وعلى غيري من النساء المسلمات ـ بحجة أن السياسة ليست من اختصاصنا .. وللسياسة أربابها ـ بأن لا نقول لهؤلاء الطواغيت الظالمين ولأنظمتهم الفاسدة المجرمة: لا ..؟!!

ـ المعلمة: هوني عليك بُنيتي .. لا داعي لهذا الانفعال .. والتشدد .. هؤلاء الحكام الذين تسمينهم بالطواغيت والظالمين .. هم ولاة أمورنا .. تجب طاعتهم .. وكلامك بنيتي لا يخلو من التهور .. وإثارة الفتن وتأليب الناس ضد ولاة الأمور .. وهذا ليس من ديننا!

ـ التلميذة: أخالفك الرأي والاعتقاد .. فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" ما لم تروا منهم كفراً بواحاً "، وطواغيت الحكم هؤلاء قد رأينا منهم الكفر البواح .. وبصورة جلية واضحة لا ينبغي أن يختلف عليها اثنان من ذوي الفهم والرشد.

رأينا منهم كيف لا يحكمون بما أنزل الله .. وكيف يُحاربون من يُطالبهم بالحكم بما أنزل الله!

ورأينا منهم كيف يبدلون شرع الله تعالى بشرائع الكفر والطغيان ..!

ورأينا منهم كيف يجعلون من أنفسهم أرباباً على شعوبهم فيشرعون، ويحللون ويحرمون ويقننون القوانين والدساتير .. بغير سلطان من الله!

رأينا منهم صنوف الكفر والطغيان كلها .. وما من ناقضة من نواقض الإسلام التي تكلم عنها العلماء وأجمعوا عليها .. إلا وقد أشربوها وتلبسون بها تلبساً بواحاً!

رأينا منهم كيف يُسارعون في موالاة ونصرة أعداء الأمة من الكفرة والمجرمين على الأمة ودينها وأبنائها ..!

رأينا منهم الخذلان .. والهوان .. وصنوف الخيانة والتآمر .. والأقصى الأسير في قبضة الصهاينة اليهود .. منذ عقود عدة .. لهو أكبر شاهد ودليل على ذلك!

رأينا منهم .. صنوف الظلم والاضطهاد والإذلال .. والإرهاب .. الذي يمارسونه بحق الشعوب والمستضعفين ..!

رأينا منهم قمة الاستهانة بمقدرات الأمة وأموالها وخيراتها .. وكيف أنهم ينفقونها على بطونهم وشهواتهم المنهومة والتي لا تشبع ..!

الأمة على رحابة صدرها وصبرها .. فإنها تستغيث منهم ولا مغيث ..!

الأمة تُذبح من الوريد إلى الوريد .. بخذلان وكفر وظلم هؤلاء الطواغيت!

أبعد كل ذلك .. يا معلمتي .. تقولين عنهم بأنهم ولاة أمورنا وتجب طاعتهم .. والله تعالى يقول: ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾النساء:141.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" اسمعوا هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولستُ منه، وليس بواردٍ عليَّ الحوض ".

وقال تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ﴾النساء: 107. وهذه آية نزلت فيمن يجادل عن الذين يختانون

أنفسهم بالسرقة .. فكيف بمن يجادل عن هؤلاء الطواغيت المجرمين .. والخونة المفسدين .. لا شك أنه أولى بالنهي والإمساك عن الجدال.

إنها كلمة .. ستُكتب لكِ .. فأعدي لها جواباً يوم أن تقفي بين يدي العزيز الجبار يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ الشعراء:88-89.

ـ المعلمة: رغم وجاهة كلامك .. إلا أنه يؤدي إلى الفتنة .. وحصول النزاعات .. ونحن هنا لا نحب أن نتدخل في شؤون الأنظمة والحكام .. وغرضنا وهدفنا أن نثير المواضيع الإيمانية التي من خلالها ندخل ونلتقي في جنة عرضها كعرض السماوات والأرض ..!

ـ التلميذة: بل الفتنة في أن نسكت على هؤلاء الطواغيت الظالمين .. وعلى إجرامهم وظلمهم وفسادهم .. ونعترف بشرعيتهم وشرعية أنظمتهم الكافرة .. واجتناب الفتنة بحق يكون بتعريتهم واعتزالهم، وقتالهم والخروج عليهم، كما قال تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ الأنفال:39. فلا فتنة تعلو فتنة الشرك والاعتراف بأحقية وشرعية الشرك والكفر، والظلم، كما قال تعالى: وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ أي فتنة الشرك واستعلائه وإقراره أشد من فتنة القتل والقتال.

انظري الضريبة التي تدفعها الأمة ـ وفي كل يوم ـ من دينها، وعِرضها، وكرامتها، وعزتها، وأرضها، وخيراتها .. كم هي باهظة ومكلفة بسبب سكوتها على طواغيت الحكم هؤلاء وعلى أنظمتهم الفاسدة العميلة الخائنة .. فأي فتنة تبكينها وتحذرينها تعلو هذه الفتنة التي نعيشها ونكابدها .. وفي جميع جوانب حياتنا؟!

أما عن اللقاء في جنة عرضها كعرض السماوات والأرض .. الذي تتحدثين عنه .. فإنه لا يتم إلا بعد الكفر بالطواغيت والأنداد .. والبراء منهم، ومن طغيانهم وكفرهم وعبيدهم، وهذا من لوازم وشروط التوحيد، كما قال تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ البقرة:256. وقال تعالى: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ

هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ النحل:36. أي منهم من هداه الله تعالى إلى عبادته واجتناب الطاغوت والكفر به .. ومنهم من حقت عليه الضلالة باتباع الطاغوت وعدم اجتنابه .. وإني لأعيذك يا معلمتي أن تكوني من الفريق الثاني؛ ممن حقت عليهم الضلالة وأنت لا تدرين!

ـ المعلمة: لا تحملي الأمور مالا تحتمل فأنا ـ يا عزيزتي ـ لست من أتباع الطواغيت .. ولكنني أختلف معكِ .. فمنهجي يبدو غير منهجك ..!

ـ التلميذة: ولكن كم جنى هذا المنهج ـ الذي تتكلمين عنه وتعنينه ـ على الأمة وبخاصة نسائها .. فأورثهن الجهل، والتخلف، والخوف، والسلبية، والذل، والرضى بالدون .. فأنشأن جيلاً مشوه العقيدة، والثقافة، والأخلاق .. جباناً لا يعرف طعم المبادرة والإقدام .. فكان ذلك أثمن هدية تُقدم لطواغيت الحكم الظالمين!

ـ المعلمة: لا تحاولي معي يا عزيزتي .. أرى أن يُغلق هذا النقاش .. فلا جدوى من الحوار معك!

ـ التلميذة: أعترف أنني قد تجرأت عليك كمعلمة لي .. وما حملني على هذه الجرأة سوى الرغبة في النصح وبيان الحق فيما اختلفنا فيه .. قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ يونس: 108. إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ هود:88. والحمد لله رب العالمين.

* * *

132- الكلمة للقوي ..!

عندما تُغيَّب شريعة السماء؛ شريعة الحق والعدل .. تُصبح الكلمة في الأرض للقوي .. والحكم فيها للقوي .. ولمن يملك أسباب القوة .. بغض النظر عن مدى موافقة حكمه للحق أو الباطل أو موافقته للعدل أو الظلم والطغيان .. كشريعة الغاب تماماً التي يفترس فيها القويُّ الضعيفَ ويحكم فيها القويُّ الضعيفَ .. وفق ما يريد ويهوى .. فيصبح الإنسان كما قال تعالى:

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿الفرقان:44﴾.

هذه حقيقة ينطق بها التاريخ القديم منه والمعاصر .. ومن الشواهد المعاصرة الكثيرة على هذه الحقيقة: الدولة الأمريكية التي غرتها قوتها .. وما تملك من أسباب القوة المتطورة .. فكان مثلها في الطغيان مثل قوم عاد من قبل، الذين قال تعالى فيهم: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿فصلت:15﴾.

فحملها ذلك على الظلم والطغيان والعدوان والاستكبار في الأرض بغير حق؛ فالحق ما تراه حقاً وإن كان باطلاً، والباطل ما تراه باطلاً وإن كان حقاً .. وهي تملك الفيتو الذي تجعل من خلاله المُعتدي الغازي والظالم .. الضحية الذي يستحق الدعم والعون والتأييد .. والضحية المُعتدى عليها .. هي الظالمة البادئة التي ينبغي أن تُحارَب وتُحاصر .. وتُمنع عنها أسباب الحياة .. كما هو موقفها من القضية الفلسطينية .. والغزاة الصهاينة اليهود المحتلين للبلاد .. وغيرها من قضايا الصراع في العالم .. والعالَم الضعيف ـ رهبة أو رغبة ـ ليس له إلا أن يسير وفق سياساتها ورغباتها .. ومخططاتها .. ويلتمس رضاها في كل شيء!

لأجل ذلك أمر الإسلام أتباعه بالإعداد والأخذ بجميع أسباب القوة .. ليضع لقوى الباطل والشر حداً لعدوانها وطغيانها .. واستكبارها، كما قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴿الأنفال:60﴾.

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿الحديد:25﴾.

فالله تعالى أنزل الكتاب الذي يقرر الحق المطلق في الأرض، فهو الميزان والعدل، وما سواه فهو الباطل والظلم .. وأنزل معه الحديد فيه بأس شديد ليُحمى

الحق الذي في الكتاب من طغيان وعدوان قوى الباطل والشر في الأرض .. فالحق لا تقوم له قائمة ولا دولة بالكتاب دون الحديد .. ولا بالحديد دون الكتاب .. وإنما بالكتاب والحديد معاً .. ومهما غفل المسلمون عن هذه الحقيقة .. وهذا الترابط والتلازم بين الكتاب والحديد .. فلن تقوم لهم قائمة .. ولن يكتب لهم وجود عزٍّ بين الأمم والشعوب!

* * *

133- الغايةُ لا تُبرِّرُ الوسيلَةَ ..!

مما هو معلوم من الدين بالضرورة أن الغاية لا تُـبرر الوسيلة .. فالوسائل لهـا حكـم المقاصـد والغايـات مـن حيث لزوم مشروعيتها وحِلها.

ومما يُشين المرء في دينه وأخلاقـه أن يُعـرف عنـه أنــه ممــن ينتهــج نهــج مــن تكــون الغايــات عنــده تــبرر الوسائل!

وأسوأ ما في هذا الأمر أن تُعرف بعـض الحركـات أو الشخصيات الإسلامية المحسوبة علـى التيـار الإسـلامي العام .. أنها تنتهج في سياستها وعلاقتهـا مـع الآخريـن مبدأ ونهج الغاية تبرر الوسيلة!

حيث بتنا ـ منذ زمن ـ نرى بعض العاملين في الحقل الدعوي والإسلامي والمحسوبين علـى بعـض الجماعـات الإسلامية المعاصرة .. يبررون انحرافاتهم .. وتنازلاتهم عن كثير من ثوابت ومبادئ هذا الـدين .. وركـونهم إلـى الطواغيت الظالمين .. من أجـل هـدف أو غايـة يسـعون إليها .. قد تكون أقل شأناً وقيمة مما قد تنازلوا وتخلــوا عنه!

فمنهم من يُبتلى بعـدو يـرى مـواجهته .. فهـو مـن أجل ذلك تراه يـوالي ويُحـالف شـياطين الأرض كلهـم ــ ربمـا يكونـون أشـد كفـراً وطغيانـاً ممـن يـواجههم مـن الأعداء ـ ويسكت على كفرهم وبـاطلهم .. بـل ويتمـادى في الثناء عليهم .. ولو سُئل عن ذلك: لأجاب مــن فــوره أن له عدواً ينبغي مواجهته .. ولا بد له من هذه السياسة وهذا النهج!

ومنهم من أجـل منصـبٍ أو كرسـي أعـرج السـاق .. يمـنّ الطـاغوت بـه عليهـم .. تراهـم يضـحون بـالثوابت والمبادئ .. والتوحيد .. ويزحفون على العتبات!!

تراهم يقدمون تنازلات لها مساس بالثوابت والعقيدة والتوحيد .. مؤداها إلى تضليل الناس وتشويه عقائدهم .. مقابل مقصد أو هدف .. لا يرقى من حيث الأهمية إلى درجة ما فرطوا به من تلك الثوابت والمبادئ!

الحركة الإسلامية في مرحلة من مراحل وجودها وحركتها نحو أهدافها .. وفي مرحلة من مراحل الضيق والشدة والحاجة .. قد تُخيَّر بين الثبات على المبدأ والعقيدة والتوحيد .. وبين بعض المصالح والمكاسب الدنيوية التي قد تخفف عنها شيئاً من تلك الضائقة والشدة .. ولا بد لها من أن تختار .. والصواب في حين حصول مثل هذه الخيرة .. والذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة .. وسيَر الأنبياء والمرسلين .. أن تختار الحركة أو الجماعة خيار الثبات على المبدأ والعقيدة والتوحيد .. وليس لها سوى ذلك .. وأيما جماعة إسلامية تختار العكس؛ فتقدم المصالح والمكاسب الدنيوية على المبادئ والعقيدة والتوحيد .. فإنها بذلك تخرج مباشرة عن كونها جماعة تعمل من أجل الإسلام وعقيدة الإسلام .. ولتبحث لنفسها عن نسبة أخرى تنتسب إليها غير نسبة الإسلام، والعمل الإسلامي.

كثيرة هي الحركات والجماعات التي تبرر باطلها وتقصيرها باتكائها على ذريعة قديمة حديثة .. لو لم نفعل كذا .. من الوسائل الباطلة .. لما تمكنا من فعل كذا .. من المقاصد والغايات .. كما قال تعالى عن المنافقين:

[illegible]

* * *

[illegible]

وإلى آل الشيخ المجاهد وأهله، وأحبابه وإخوانه، وتلامذته من مجاهدي فلسطين: أحسن الله عزاءكم .. وآجركم خيراً على مصابكم .. وأخلفكم خيراً منها .. فلله ما وهب وما أخذ، وإن من شيء عنده إلا بأجل .. ولا نقول إلا ما يُرضي الرب .. إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع .. وإنَّا على فراقك يا أبا محمد لمحزونون .. أنتم السابقون، ونحن اللاحقون .. غفر الله لنا ولكم .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

*** * ***

136- هذا ما أوصاني به شيخنا حمود بن عقلاء الشعيبي.

رسالة بين الأوراق المبعثرة .. عزيزة علي .. يعز عليَّ ضياعها .. كلما وقع طرف عيني عليها ذكرتني بشيخ جليل ــ صدّاع بالحق ــ أحببناه في الله .. وهو شيخنا الحبيب حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته مع الأنبياء والصديقين والشهداء .. لذا وجدت نفسي مشدوداً لتثبيتها ونشرها .. فهي

رسالة على قلة كلماتها إلا أن نفعها لعظيم وكبير لي ولخاصة وعامة المسلمين.

نص الرسالة:" فضيلة الشيخ عبد المنعم مصطفى حليمة .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلتنا رسالتكم وصلكم الله بحفظه وطاعته .. ونسأل الله بمنه وكرمه أن يجمع بيننا وبينكم في دار كرامته، وأن يتوفانا على الإسلام .. وقد عرفناكم من خلال بعض كتاباتكم ضد الفكر الإرجائي .. نسأل الله لكم التوفيق والإعانة .. فما زال هذا الفكر ينتشر .. ولا زالت بعض الفئات تدعو له .. وما زال كثير من طلبة العلم لا يعي المراد من دفع هذا الفكر الجديد .. ندعو لكم ونحضكم أن تسيروا في هذا الطريق؛ في صد هذا الفكر المنحرف .. وفقكم الله، وأعانكم، وجعل ما تقومون به في ميزان أعمالكم .. أخوكم حمود بن عقلاء الشعيبي " ا- هـ. بتاريخ 19/5/1422هـ.

قلت: صدق الشيخ العالم البصير .. فإن الفكر الإرجائي يسير في الأمة مسرى السرطان في الجسد .. لا بد من استئصاله .. وما تلقاه الأمة من مكر وكيد أهل التجهّم والإرجاء لعظيم ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾، وتهدّها هدّاً .. فهم أثبتوا ـ في كل معركة تدور بين الحق والباطل ـ أنهم مع طواغيت الحكم الظالمين على الأمة وأبنائها .. يجادلون عنهم في الباطل والزور .. وكثير منهم ـ استرضاء لطواغيت الحكم في بلادهم وطمعاً بما عندهم من فتات ــ يقفون مع الغزاة المحتلين لبلاد المسلمين من أعداء الأمة .. ضد المجاهدين .. صفوة الأمة وخِيرتها!

إذا ذُكر جهاد المجاهدين .. طعنوا .. وغمزوا .. واستخفوا وسخروا .. واستنكروا .. وقللوا من شأنه .. وشككوا في شرعيته .. وثبَّطوا .. وبأعلا أصواتهم .. بينما إذا ذُكر ظلم وكفر الطواغيت الظالمين .. وما يمارسونه بحق الأمة من ظلم وكفر وعدوان .. تأوَّلوا .. وخنسوا .. لا تسمع لهم همساً ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾.

* * *

137- رحم اللهُ أبا الوليد الغامدي.

قالوا لي: قد رثيت فلاناً وفلانا .. فهلاَّ رثيت أبا الوليد الغامدي؟!

قلت: يا سبحان اللـه .. أومثلـي يرثـي مثلَـه .. فمـا يُضيره لو لم أرثـه .. ومـا ينفعـه لـو رثيتـه .. وهـو الـذي فارق الديار والأهل والأحبة ـ منذ نعومة أظافره ـ ليلــبي نــداء الجهــاد فــي ســبيل اللــه حيثمــا يصــدع ويُرفــع .. وليترجم بجهاده ودمه عالمية الجهاد .. وعالمية الإسـلام .. وأن المسـلمين ــ علـى اختلاف مـواقعهم وألـوانهم وأجناسهم ولغاتهم ـ لا يمكن إلا أن يكونوا جسـداً واحـداً إذا اشتكى منه عضـو تـداعى لـه سـائر الجسـد بالسـهر، والقلق والحمى!

آلمنا فراقه .. كما آلمنا من قبل فراق أخيـه البطـل خطَّاب .. رحمهما الله تعالى .. وغفر لهما .. وأسـكنهما فسيح جناته مع الأنبياء والصديقين والشهداء ..!

آلمنا فراق الأبطال .. وفراق جهادهم لأعداء الله .. لكنه الطريـق .. طريـق العـزة والمجـد .. طريـق الظفـر بإحدى الحسنيين .. طريق الإسلام .. لا بد له من غِــراس .. ولا بد لتلك الغراس من دماء ترويها وتمدها بالحيــاة .. وفي الحديث فقد صح عن النبي أنه قال:" لا يزال الله يغرسُ في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته ".

هنيئاً لك أبـا عمـر جهـادك .. وهنيئـاً لـك هجرتـك .. وهنيئاً لـك غربتـك فـي اللـه .. عشـت غريبـاً مطـارداً .. ومتَّ ودفنت غريباً .. قال رسول اللـه :" إن الرجـل إذا مات بغير مولده، قِيس
له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة ".

وإلى أم الشـهيد إن شـاء اللـه .. وأهلـه وذويـه .. لا نعزيكم .. ولكن نهنيكم ونبشركم .. فقد صح عن النبي أنه قال:" يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته ".

نسـأل اللـه تعـالى أن يقبـل شـهادته .. وأن يقبـل شفاعته في أهله وذويه .. وأن يغفر لنا ويرحمنا، وجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسـلمات، الأحيـاء منهـم والأمـوات .. وصـلى اللـه علـى محمـدٍ وعلـى آلـه وصحبه وسلم.

* * *

138- سجن " أبو غريب " في العراق ..!

بشــرتنا خيــراً أيهــا الســجن .. فمــن قبــل أملأك الطاغوت الهالك ظلماً وإجراماً .. فكان ذلـك سـبباً فـي زواله وزوال دولته وملكه .. وهاهي اليوم أمريكـا راعيـة الديمقراطية في العالم .. تُملئك ظلماً وعذاباً، وإجراماً، وانتهاكـاً للأعـراض والحرمـات .. وبصـورة لا يمكـن أن يتخيلها إنسان سوي .. وإنـا لنرجـو أن يكـون ذلـك سـبباً في زوالها وزوال طغيانها وملكها .. ومـا ذلـك ببعيـد إن شاء الله!

سنَّةُ الله في الظالمين المجرمين الدمار والهلاك .. ولو بعد حين .. فالله تعالى لا يُزيل ولا يدمر دولة ولا أمة وهي قائمة على العدل .. وإنما إذا أراد أن يهلـك دولـة من الدول أخذها ودمرها وهي ظالمة، كما قـال تعـالى: وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً الكهـف:59. وقـال تعـالى: وَإِذَا أَرَدْنَـا أَنْ نُهْلِـكَ قَرْيَـةً أَمَرْنَــا مُتْرَفِيهَــا فَفَسَــقُوا فِيهَــا فَحَــقَّ عَلَيْهَــا الْقَــوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَـدْمِيراً الإسـراء:16. وقـال تعـالى: وَكَـذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيـمٌ شَـدِيدٌ هود:102. وقال تعالى: وَكَمْ قَصَـمْنَا مِـنْ قَرْيَـةٍ كَـانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمـاً آخَرِيـنَ الأنبيـاء:11. وقـال تعالى: فَكَأَيِّنْ مِـنْ قَرْيَـةٍ أَهْلَكْنَاهَـا وَهِـيَ ظَالِمَـةٌ فَهِـيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْـرٍ مُعَطَّلَـةٍ وَقَصْـرٍ مَشِـيدٍ الحـج: 45. وقال تعالى: وَكَـأَيِّنْ مَـنْ قَرْيَـةٍ أَمْلَيْـتُ لَهَـا وَهِـيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِـيرُ الحـج:48. هـذه سـنة لا تتخلف ولا تتبدل!

بشرتنا خيراً أيها السجن .. لما فضحت مآرب الغزاة الأمريكان ومن دخل في حلفهم .. وأنهم ما غزو العراق إلا مـن أجـل إذلال الإنسـان المسـلم .. والاعتـداء عليـه وعلى دينه وعِرضـه، ومـاله، وأرضـه .. وحرمـاته كلهـا .. وأن وعودهم المعسولة .. وديمقراطيتهـم الموعـودة .. هي كذب في كذب .. وسراب في سراب!

كل هذا الذي مارسوه وفعلوه ولا يزالون يُمارسونه فيك أيها السجن .. ومع ذلك لا

يـزال مـن بنـي قـومي مـن يصـدق أمريكـا .. ويصـدق بـديمقراطيتها .. ونزاهتهـا .. ويجعـل منهـا قبلتـه الأولى!!!

بشرتنا خيراً أيها السجن .. لمَّا فضحت طواغيت الحكم الخونة في بلادنا .. بسكوتهم المريب عما جرى ولا يزال يجري فيك من ظلم وإجرام وانتهاكات للأعراض .. على أيدي أسيادهم الأمريكان!

كيف لهم أن لا يخنسوا .. وكلٌّ من هؤلاء الطواغيت الظالمين عندهم مثلك يا " أبو غريب "، ويفعلون بحق شعوبهم المقهورة والمهانة مثل وأشد مما فُعل فيك ..؟!

" أبو غريب " لك عهد منا أن لا ننساك .. فأنت دخلت في حافرة ذاكرتنا .. وذاكرة أجيالنا القادمة كشاهدٍ عدل ثَبْتٍ على ظلم وطغيان وإجرام الغزاة المعتدين .. ومن دخل في حلفهم ونصرتهم من الطواغيت الظالمين؛ ممن هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا .. الثأر لك قادم ولو بعد حينٍ بإذن الله.

* * *

139- من المدح والترحيب ما يكون شتماً ..!

وذلك عندما ترى الرجلَ يمدحك ويثني عليك بألقاب الخير .. ويحترمك .. ويتودد لك ويرحب بك .. ثم هو يفعل ذات الشيء وأكثر مع السوقة، والفسقة، وأهل الأهواء، ومن لا زبر له يزبره عما يُشين .. وما أكثر شبه هذا الرجل من المدَّاحين في هذا الزمان!

ليس من الأدب والاحترام .. ولا المروءة والخلق .. أن تسوي بين الشريف والوضيع .. وبين الصالح والطالح .. وبين العالم والجاهل .. وبين التقي والفاسق الفاجر .. وبين السني والبدعي .. وبين المسلم والكافر .. في المدح، والترحيب، والاحترام، والتوقير!

أذكر من ذلك رجلاً دعا الإخوان لزيارته .. فكان كلما دخل أخ .. استقبله بعبارة .. مرحباً بالشيخ الحبيب .. حتى أنه لم يدع " للشيخ الحبيب " معناً ولا طعماً ولا رائحة!!

* * *

140- بعد أن شوَّهوا السَّلفيةَ يُشوِّهون مُصطلَحَ أهلِ السُّنَّة والجماعة!

مرت فترة من الزمن كان لمصطلح ومفهوم " السَّلفية " وهجه وبريقه وجاذبيته، حيث كان يعني عند

كثير من الناس ضرورة الرجوع إلى ما كان عليه الرعيل الأول من السلف الصالح من فهم والتزام، ومنهج .. فوضع له بذلك القبول الحسن في الأرض.

فأدرك ذلك دعاة التجهم والإرجاء .. وغيرهم من أهل الأهواء والبدع وذوي النفوس المريضة .. ممن يتصيدون في الماء العكر .. فوجدوا أنفسهم مضطرين ـ لأن يركبوا الموجة .. وحتى يجدوا لبضاعتهم الضالة والمتعفنة الكاسدة رواجاً بين الناس ـ أن ينسبوا أفهامهم، ومناهجهم، وانحرافاتهم وشذوذاتهم .. وأقوالهم .. وكل ما يقومون به من عمل .. إلى السلف .. والسلفية .. والسلفية منهم براء!

فتراهم يؤصلون لبدعهم وضلالاتهم وانحرافاتهم .. وأهوائهم .. ولكن على طريقة السلف .. والمنهج السلفي .. كما يزعمون!

يُجادلون عن الطواغيت الظالمين .. ويدخلون في موالاتهم .. ولكن على طريقة السلف .. والمنهج السلفي .. كما يزعمون!

يثبطون الأمة عن الجهاد .. ويحملونها على خذلان المجاهدين .. ولكن على طريقة السلف .. والمنهج السلفي .. كما يزعمون!

يتعصبون ويتحزبون لبعض الأسماء من الشيوخ المعاصرين .. فيوالون ويُعادون فيهم .. ولكن على طريقة السلف .. والمنهج السلفي .. كما يزعمون!

يكذبون .. ويغشون .. ويداهنون .. ويكتمون الحق .. ولكن على طريقة السلف .. والمنهج السلفي .. كما يزعمون!

إلى أن فقد مصطلح ومفهوم " السلفية " بريقه وجاذبيته .. ودلالته الآنفة الذكر التي بها وضع له القبول الحسن بين الناس .. وأصبح يعني عند كثير من الناس أخطاء القوم الآنفة الذكر!

فأدرك هؤلاء الضالون المنحرفون .. هذا الواقع وهذه النتيجة .. التي كانت بسبب من عند أنفسهم المريضة .. وأخذوا يبحثون عن مصطلح ومفهوم آخر كبديل عن مصطلح السلفية يلقى القبول عند الناس .. لكي يقتاتوا منه لأنفسهم وأهوائهم .. وتجمعاتهم .. ولترويج أفكارهم ومناهجهم المنحرفة الضالة الكاسدة بين الناس .. فلم يجدوا لهدفهم الخبيث هذا أفضل من

مصطلح ومفهوم " أهل السنة والجماعة " لما يعلمون لهذا المصطلح من قبول حسن عند الناس!

وهاهم اليوم يعيدون الكرَّة ويفعلون ذات الشيء الذي كانوا يفعلونه باسم السلف والسلفية .. كذباً وزوراً .. ولكن هذه المرة باسم آخر .. باسم "أهل السنة والجماعة"!

فما من باطل يؤصلون له .. إلا وتراهم يقولون في نهاية قولهم وزورهم .. وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة .. وأهل السنة والجماعة منهم ومن كذبهم، وزورهم، وضلالاتهم براء كبراءة الذئب من دم يوسف كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً .

لذا تعين تنبيه القراء وتحذيرهم .. وإعلامهم أن عقيدة أهل السنة والجماعة .. وما كانوا عليه من منهج .. وفهم .. واستقامة .. لا يؤخذ من هؤلاء اللصوص الكذبة .. المتملقين والمداهنين للطواغيت الظالمين .. وإنما يؤخذ من العلماء الربانيين الذين يلتزمون غرز الرعيل الأول من السلف الصالح .. فهماً ومنهجاً والتزاماً وخلقاً.

*** * ***

141- .. يتبع في الصفحة التالية إن شاء الله.

www.abubaseer.com